سوء الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سوء الخاتمة : أن تكون وفاة الإنسان وهو معرض عن ربه ومقيم على معصيته فإن الذنوب ربما غلبَت على الإنسان واستولَت على قلبه بحبِّها فيأتي الموتُ وهو مُصِرٌّ على المعصية فيستولي عليه الشيطان عند الموت وهو في حالة ضعفٍ ودهشةٍ وحيرة فينطِقُ بما أَلِفَه وغلَبَ على حاله فيُختَم له بسوء الخاتمة.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى:وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا:فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ والأعمال السيئة الشريرة سببٌ لكل شرٍّ في الدنيا والآخرة كما قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: (**إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة**)[رواه مسلم].

أسباب سوء الخاتمة

وسوء الخاتمة لها أسباب يجب على المؤمن أن يحترز منها أعظمها الاقبال على الدنيا وضعف الإيمان والإستقامة وفساد الإعتقاد والمعاصي والإصرار عليها ومن أسباب سوء الخاتمة أن يصر العبد على المعاصي ويألفها فإن الإنسان إذا ألف شيئاً مدة حياته وأحبه وتعلق به فالغالب أنه يموت عليه.

قال ابن كثير رحمه الله:**إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت.**

ويقول ابن القيم رحمه الله:**وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه.**

علامات سوء الخاتمة عند الموت

ومن العلامات التي تظهر على الميت بعد الوفاة :

عبوس الوجه وقتامته وظلمته وعدم الرضى بما سمع من ملك الموت بسخط الله وظهور سواد على الوجه وقد يعم السواد سائر الجسد.

وأن يموت على شرك أو على ترك الصلاة متهاوناً بأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا من يموت على الأغاني والمزامير والتمثيليات والأفلام الماجنة ومن يموت على الفاحشة بعمومها والخمر والمخدرات .

التحذير من سوء الخاتمة

وكم من الناس من غرته الدنيا وغرته الشهرة وغره المال وغره السلطان وغره كثرة السفهاء من حوله فأدمن المعاصي حتى كأنه لن يموت فأخذه الله بغتة بسوء خاتمة وهو على معصيته لرب الأرض والسموات يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾ [الانعام].

أعلم أن الشيطان يحضر ابن آدم عند احتضاره وخروج روحه ويعرض عليه كل ملة غير الإسلام ويتمثل له بصورة الناصح الأمين كالأب والأم والأخ والصديق الحميم فيقولون له: مت يهودياً فهو الدين المقبول عند الله تعالى. أو يقولون له: مت نصرانياً فإنه دين المسيح المقبول عند الله تعالى. ويذكرون له عقائد كل ملة حتى يموت على غير ملة الإسلام. وهذا غرضه لعنه الله.

سوء الخاتمة لم ينجوا منه اقرب الناس للرسول

فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله**). فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: **يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟** فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيدان له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب.

شدة خوف الصالحين من سوء الخاتمة

فقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة أشد الخوف. فكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضاً على لحيته ويبكي ويقول يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك ابنَ دينار ...؟

فأحذروا رحمكم الله :

فكم سمعنا عمن آمن ثم كفر وكم رأينا من استقام ثم انحرف فأسعَوا إلى تحصيل أسباب حُسن الخاتمة ليُوفِّقكم الله إلى ذلك واحذروا أسباب سوء الخاتمة فإن الخاتمة السيئة هي المُصيبة العُظمى والداهيةُ الكبرى والكسرُ الذي لا يجبر والخُسران المُبين والعياذ بالله

قال رسول الله صَلى الله عليه وسلم:

(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)

[رواه البخاري]